

منهج

سلسلة التفسير

والتين والزيتون





للشيخ هاني حلمي

حفظه الله



أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وكفى وصلاةً وسلامًا
على عباده الذين اصطفى،
لاسيما عبده المصطفى
وآله المســــتكـــمليـــن الشــرفـــا

ثـــم أما بـــــعـــد :
فـأسـأل الله تـــبـارك وتـــعـالى أن يــــعـلـــمـــنـــا
ماينـفـعنا وأن يــنـفــعــنـا بما علـمنـــــا
وأن يـزيـــدنا عـلـما يـنـفـعـنـا

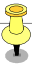
اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا ونور أبصارنا وجلاء همومنا وذهاب غمومنا، اللهم ذكّرنا منه ما نسِّينا وارزقنا تلاوته آناء الليل وأطراف النهار على الوجه الذي يرضيك عنا اللهم أجعل القرآن العظيم شفاءً لما في صدورنا اللهم اشرح به صدورنا اللهم برحمتك الواسعة عُمّنا وقنا شر ما أهمنا وأغمنا اللهم آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدا.

سنتدارس بحول الله تعالى وقوته في هذا اللقاء تدبر سورة التين

ما هي سورة التين ؟

سورة التين سورة مكية, وهي السورة الثامنة والعشرون من حيث النزول.

نزلت قبلها سورة البروج ونزلت بعدها سورة قريش، هذه السورة كان النبي ﷺ يقرأ بها في صلاته كثيرا.



وفي الصحيحين من حديث البراء ابن عازب رضي الله عنه قال:

كان النبي ﷺ في سفرٍ، فصلى العشاء فقرأ في إحدى الركعتين والتين والزيتون، فما سمعت أحدًا أحسن صوتا ولا قراءةً منه. بأبي هو ونفسي رسول الله ﷺ .

وفي لفظٍ رواه الخطيب: صليت مع رسول الله ﷺ المغرب وقرأ بالتين والزيتون.

وأخرج بن قانع وبن السكن عن زرعة بن خليفة قال: أتيت النبي ﷺ من اليمامة ، فعرض علينا الإسلام فأسلمنا، فلما صلينا الغداة قرأ بالتين والزيتون وإنّا أنزلناه في ليلة القدر.

لما سميت بسورة التين ؟

سورة التين: هذه السورة سميت بهذا الاسم بطبيعة الحال، لما ذكر في أولها من القسمِ بهذه الثمرة، فأقسم الله عز وجل في مطلعها بالتين، ولم يرد هذا اللفظ في غير هذه السورة أي لم يرد لفظ التين في غيرِ هذه السورة.

تفسير سورة التين

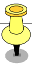
ابتدأت السورة بقسم الله تبارك وتعالى بالتين والزيتون وبجبلِ الطور وبمكة المكرمة، على أن الله أحسن خلق الإنسان وقد يرده إلى أرذلِ العمر فيصير ضعيفا، قد بلغ من الهرم والشيخوخة ما بلغ.

ووبّخت الكافر على إنكارهِ البعث والنشور، بالرغم من توافر الأدلة القاطعة على قدرة الله تبارك وتعالى لخلق الإنسان في أحسنِ تقويم، واستثنت المؤمنين الذين يعملون الصالحات وأشارت إلى أن الله هو أعدل الحاكمين وأعلى المدبِّرين حكما.

قال الله تبارك وتعالى:

" وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (7) أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (8) ".

قال جل وعلا " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ " فأقسم سبحانه وتعالى بالتّين والزيتون وهما من الثمار المعروفة، ثم أقسم سبحانه وتعالى بجبلِ طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى تكليما، وأقسم بهذا البلد الأمين من كل خوف وهي مكة مهبط الوحي، على أن الإنسان خلقه الرحمن في أحسنِ سورة، ثم ردده إلى النار إن لم يطع وإن لم يتبع الرسل.



{فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ، أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ}[التين : 7]، قال جل وعلا " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ" فأقسم سبحانه وتعالى بالتين والزيتون وهما من الثمار المعروفة، ثم أقسم سبحانه وتعالى بجبل طور سيناء الذي كلم الله عليه موسى تكليمًا، وأقسم بهذا البلد الأمين من كل خوف وهي مكة مهبط الوحي على أن الإنسان خلقه الرحمن في أحسن صورة ثم رَدَدَهُ إلى النار إن لم يطع وإن لم يتبع الرسل لكن الذين آمنوا وعملوا الصلحات لهم أجر غير مقطوع ولا منقوص، فأي شيء يحملك أيها الإنسان على أن تكذّب بالبعث والجزاء مع وضوح الأدلة على قدرة الله تبارك وتعالى، أليس الله الذي جعل هذا اليوم للفصل بين الناس هو أحكم الحاكمين في كل ما خلق؟ بلى، فهل يُترك الخلق سدى لا يُؤمرون ولا يُنهون ولا يُثابون ولا يُعاقبون إن ذلك لا يصح ولا يكون.

{وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ} قال ابن عباس: هو تينكم الذي تأكلون وزيتونكم الذي تعصرون منه الزيت، وقد قال الله تبارك وتعالى: "وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَاء تَنبُتُ بِالدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْآكِلِينَ" [المؤمنون : 20]،

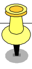
وورد في ذلك أن النبي ﷺ أهدي له سَلٌّ تين فقال: كلوا وأكل منه، ثم قال:" لو أن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذه"

أورد هذا القرطبي رحمه الله في تفسير هذه الآية .

ما المراد من ذكر هذه الثمرة - التين والزيتون- ؟ولماذا اختصت بأن يقسم الله عز وجل بها؟

ابن القيم رحمه الله له كلام في غاية النفاسة في تفسير هذه السورة، قال أنّ الله عزوجل إنما أقسم بالأمكنة التي تظهر فيها هذه المعالم وهذه الآيات، فأقسم سبحانه وتعالى بالتين والزيتون والمراد ليس فقط نفس الشجرتين المعروفتين وإنما المراد منبتهما, وهو أرض بيت المقدس فإن أكثر البقائع زيتونًا وتينًا إنّما كان معلوم أنها في أرض الشام في أرض بيت المقدس، وقد قال جماعة من المفكرين أن الله سبحانه وتعالى أقسم بهذين النوعين من الثمار لمكان العزة فيهما،

فالتّين مُخلصَة من شوائب التنغيص لا عُجم له، وهو على مقدار اللقمة، وهو فاكهة وقوت وغذاء وأدب أي أنه غذاء متكامل ويدخل في الأدوية وطبعه طبع حياة, فيه الحرارة والرطوبة وشكله من أحسن الأشكال, ويدخل أكله والنظر إليه في باب المفرِّحات, وله لذة يمتاز بها عن سائر الفواكه



ويزيد في القوة ويوافق الباءة أي يزيد قدرة الإنسان في هذا, وينفع في أمراض كالبواسير والنقرس ويُؤكل رطبًا ويُؤكل يابسًا.

وأمّا **الزيتون** ففيه من الآيات ما هو ظاهر لمن اعتبر فإن عوده يخرج ثمرة ويعصر هذا الدُهن الذي هو مادة للنور وصبغ للآكلين، وهو دواء وفيه من مصالح الخلق ما لا يخفى، وشجره باقٍ على مرّ السنين المتطاولة وورقه لا يسقط وهذا الذي قاله أهل التفسير يقول ابن القيم حق ولا ينافي أن يكون منبته مرادا .

فهو يقول هذا لا يمنع أن المراد أرض التين والزيتون فإذاً نَعَم القسم بالشجرتين بالتين والزيتون, لكن أيضا القسم بهذه الأرض التي كانت مظهر عبد الله ورسوله وكلمته وروحه عيسى بن مريم كان المكان الذي ظهر فيه عبد الله ورسوله وكليمه موسى ففيه الجبل الذي كلمه عليه وناجاه وأرسله إلى فرعون وقومه .

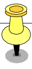
أما القسم **بالبلد الأمين** فمكة التي كانت أرض خاتم الأنبياء والمرسلين سيد ولد آدم ولا فخر . إذاً ترقى في هذا القسم من الفاضل إلى الأفضل, فبدأ بموضع المسيح بن مريم عليه السلام, ثم ثنّى بموضع الكليم موسى, ثم ختم بموضع عبد الله ورسوله وأكرم الخلق النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

قال ونظير هذا بعينه في التوراة التي أنزلها الله على كليمه موسى أن جاء في التوراة,جاء الله من طور سيناء وأشرق من ساعيه وإستعلن من فاران فمجيئه من طور سيناء, يعني سيدنا موسى جاء إلى الله وظهر من هذه الأماكن فكان مجيئه من طور سيناء فبعث الله تبارك وتعالى موسى بن عمران وأرسله إلى فرعون من هذا المكان, ثمّ ثنّي بنبوة المسيح, ثم ختم بنبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم, فجعل نبوة موسى بمنزلة مجيء الصبح, ونبوة المسيح بمنزلة طلوع الشمس وإشراقها, أما نبوة النبي محمد صلى الله عليه وسلم فهذا بمنزلة الإستعلاء والظهور للعالم كله, لأن الله سبحانه أرسله للعالمين وهو رحمة للعالمين.
ولمّا كان الغالب على بني إسرائيل حكم العقل فذكر ذلك مطابقاً للواقع, ولما كان الغالب على الأمة الكاملة حكم العقل فذكر ذلك بقوله تبارك وتعالى : " لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ "

لـفـتـة

إذاً ياجماعة المسلمين ما هو الموضوع ؟

هذة لفتة لا يقف عندها الكثيرون ولا يضعونها في الاعتبار,أنّ ربنا سبحانه وتعالى لمَّا أقسم بالتين والزيتون ,
ابن القيم يقول لنا إن المقسَم به هنا هو مكان هذه النباتات, هو المكان الذي يظهر فيه التين والزيتون, وهو أرض الشام لماذا اختار التين والزيتون وأقسم مباشرة بالأرض المقدسة مثلاً؟
قالوا لكي يظهر ما في هذه الثمرتين من الفوائد, وما فيهما من النعم وما فيهما من فضل الله جل وعلا على عباده لما اشتملت عليه هذه الثمرتين من الفوائد



وكذلك نور الوحي لمن يتأمل ويدرس .

فالدرس الأول في سورة التين هو هذا القسم الرباني بهذه المهابط لوحيه التي اختارها جل جلاله لتكون هذه الأراضي هي أرض الوحي, والأرض التي خرجت منها تلك الرسالات, وكان القسم على أن الله خلق الانسان في أحسن تقويم ليبلوه في ظروف الحياة ليبتليه .

فسورة التين لو أردتم أن تسموها باسم أو تقولوا ما هو الموضوع العام لهذه السورة, نقول بيان الحكمة من خلق الإنسان .

إذاً سورة التين تبيّن الحكمة من خلق الانسان خُلق ليبتلى بعد ما أنار الله له الطريق, عن طريق الوحي, وأحسن خلقه إختبره إما شاكرا وإما كفورا, فأمّا الذي يأخذ بنور الوحي, فهذا الذي لا ينقطع عمله وأما الذي اختار هواه وابتعد عن طريق الرشاد وعن طريق الاستقامة بأن انحرف عن ذلك فهذا الذي رده الله له عز وجل إلى أسفل سافلين

وهكذا يقول الله جل وعلا يأيها المكذب بالدين أليس الله بأحكم الحاكمين, أليس أحكم الحاكمين لا يمكن أن يخلق الناس عبثا، لا يمكن أن يخلق الناس عبثًا، يأيها الانسان هل مازلت لا تعلم لماذا خلقك الله؟

إن الله سبحانه وتعالى خلقك ليبتليك ويختبرك، الله سبحانه وتعالى بعد أن أقام لك الحجة عن طريق الأنبياء وعن طريق البيان وعن طريق الخلق السوي الذي خلقك عليه، "الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ (7) فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ(8)"الانفطار7-8 ، بعد ذلك طالبك بأن تكون على وفق هذا الدين وهو ما تقتضي به حكمة الخالق الرب, الذي هو أحكم الحاكمين، فكيف لك أيها الإنسان أن تنكر بالجزاء يوم الدين؟ بالحساب؟ وكل آثار صفات الله في كونه تدل على أنه أحكم الحاكمين، خَلقُ التين والزيتون تدل على أنه أحكم الحاكمين، خلق جبل الطور وخلق البلد الأمين مكة وما تنزَّل به سبحانه وتعالى في هذه البقاع من الرسالات العظيمة, لا يمكن أن يجعلك تظن للوهلة أن الله خلق الناس عبثًا،" أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ" المؤمنون:115 .

أفحسبت أن الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما باطلاً؟ أتظن ذلك ؟

ياعبد الله لابد بعد رحلة الحياة الدنيا من حساب، لابد من فصل للقضاء، ولابد أن تفهم بعد هذا كله ما الحكمة من خلقك، انظر كيف دارت الآيات حول هذا المعنى.

إذن هناك علاقة بين ذكر التين والزيتون في أول السورة, وما في هذا من حكمة وتسمية السورة بهذا الاسم عن هذه الثمرة كثيرة المنافع, وبين خاتمة السورة كما قال الله سبحانه وتعالى " أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ (8) ".

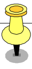
معـانـــي الأيــات 1-5

إذن " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) "

طور :بمعنى جبل.

سينين :شجر، وسنين هذا قالوا هو اسم لهذا المكان الذي تنزلت فيه البركات حين ناجى الله عبده موسى،

فطور سنين اسم للمكان أو للمَنْزَل الذي ناجى موسى ربه منه.



" وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ "

الأمين :بمعنى الآمن، يعني أرض مكة التي أريد بها, ذكر هذا البلد فيها أرض آمنة كما قال الله سبحانه وتعالى

"أَنَّا جَعَلْنَا حَرَماً آمِناً " العنكبوت: 67

" لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ "

هذا هو جواب القسم وأراد بالإنسان هنا, هذا المخلوق بغير الإيمان قيل أراد به الكافر, وقيل أراد به الوليد ابن المغيرة, وقيل المراد بالإنسان آدم وذريته, ولعل هذا هو الأوفق أن المراد به عموم هذا المخلوق

لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم أحسن صورة, الاعتدال، صورة الاستواء، وقال عامة المفسرين في أحسن تقويم في أحسن مايكون لأنه خلق كل شئ منكبًا على وجه، أما خلق الإنسان فخلق مستوي له لسان ويد وأصابع يقبض بها وقال أبو بكر ابن طاهر في أحسن تقويم مزينًا بالعقل، ومهدِيًا بالتمييز يعرف كيف يميز.

وقال بعضهم: ليس لله تعالى خلق أحسن من الإنسان، فإن الله خلقه حيًا، عالمًا، قادرًا، مريدًا، متكلمًا، سميعًا، بصيرًا، مدبرًا، حكيمًا، وهذه صفات الرب تبارك وتعالى؛ صفة الحي، وصفة القدرة، وصفة السمع، وصفة البصر، وصفة الحكمة.

فالله تبارك وتعالى خلقه على أحسن صورة، وقد قال النبيﷺ: " إن الله خلق آدم على صورته " أي على صفاته التي تقدم ذكرها من الحياة والعلم والقدرة، وهذا معناه أن الله تبارك وتعالى امتن على ابن آدم بهذه الأشياء.

قــصـــة قـصيـــــــرة

ومن اللطائف التي ذكرها المفسرون؛ أنه كان رجل يُدعى عيسى بن موسى الهاشمي، كان يُحب زوجته حبًا شديدًا، فقال لها يومًا أنتي طالق ثلاثا إن لم تكوني أحسن من القمر، فخافت المرأة وقالت طلقتني، فأنا بالتأكيد لست أحلى من القمر، وباتت بليلة عظيمة، فلمَّا أصبح غدى إلى دار المنصور، فأخبره بالخبر، وأظهر للمنصور جزعًا عظيمًا، أنا طلقتها، أنا لا أستطيع أن أستغنى عنها، كيف يحدث هذا، أنا كنت أداعبها، أنا أقول لها هذا الكلام دون قصد.

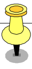
فاستحضر الفقهاء واستفتاهم، فقال جميع من حضر: قد طلُقت.

قالوا بالطبع لن تكون أحسن من القمر، هذا الكلام مما يكذب به الرجال على النساء.

إلا رجلاً واحدًا من أصحاب أبي حنيفة ظل ساكتًا، فقال له المنصور: مالك لا تتكلم؟

فقال هذا الفقيه: بسم الله الرحمن الرحيم " وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ (3) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ (4) " [التين:1: 4] فقال: يا أمير المؤمنين الإنسان أحسن الأشياء، ولا شيء أحسن منه.

فقال المنصور لعيسى بن موسى: الأمر كما قال الرجل، فأقبل على زوجتك فإنها لم تَطلق.
وأرسل أبو جعفر المنصور إلى زوجة الرجل وقال: أطيعي زوجك ولا تعصيه، فما طلَّقك.



لم يقع الطلاق, لماذا؟ لأن الإنسان أحسن خلق الله باطنًا وظاهرًا، وقد امتن الله عليه بجمال الهيئة، ببديع التركيب، فالرأس بما فيه، والصدر بما جمعه، والبطن بما حواه، والفرج وما طواه، واليدان وما بطشتاه، والرجلان وما احتملتاه؛ فهذا كله يدل على حسن تقويم وخَلق هذا الإنسان.

معاني الآيات 6-8

ثم قال: " ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ " [التين:5]

قالوا: أرذل العمر، أي مرحلة ما بعد الشباب التي هي مرحلة ما فوق الأربعين، فترة الهرم، فترة الضعف بعد القوة، حتى يصير كالصبي في الحال الأول.

وقال مجاهد: لا؛ المعنى ليس أرذل العمر، المعنى " ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ" أي إلى النار.

وقال أبو العالية: إنه لمَّا وصف الله تبارك وتعالى هذا الإنسان بتلك الصفات الجليلة، فإن هذا الإنسان طغى وعلا، حتى قال واحد منهم أنا ربكم الأعلى، وحين علِم الله من هذا العبد هذا الحال ردَّه أسفل سافلين بأن جعله مملوءًا بالقذر، مشحونًا بالنجاسات،وهكذا صار بعد أن كان هذا الإنسان بهذه الصفات الجليلة، ردَّه إلى أسفل سافلين،

وهذا يراه الإنسان منَّا في قول القائل مطرِّف بن عبد الله الشخير: أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قذرة، وأنت تحمل بين هذا وذاك العذرة, أي هذه النجاسات التي يتخلص منها الإنسان حال قضاء حاجته. فقالوا هذا المعنى أيضا.

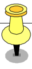
ابن القيم رحمه الله قال في هذه الآية, أن المراد بالردّ إلى أسفل سافلين أن المراد هو النار.

وقال هذا هو أصح الأقوال، ورد على الذين قالوا بأنه أرذل العمر بعدة أمور

قال *أول شيء* أن أرذل العمر لا يُسمى أسفل سافلين، لا يُسمى هكذا في اللغة ولا في العُرف، وإنما أسفل سافلين هو سجّين الذي هو مكان الفجار,كما أن عليين مكان الأبرار.

الأمر الثاني أن المردودين إلى أسفل العمر بالنسبة إلى نوع الإنسان قليل جدا فأكثرهم يموت ولا يرد إلى أرذل العمر ويبلغ سن الشيخوخة والمعمرين ممن يتجاوز الثمانين والتسعين والمئة قال هؤلاء قلة فبالتالي الآية تكون بذلك لو حملناها على هذا المعنى تكون قاصرة فى أداء المراد أو المفهوم من السياق .

الأمر الثالث أن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات يستون هم وغيرهم فى مسألة الرد إلى أرذل العمر, بل من طال عمره وحسن عمله فهذا إلى خير فتصبح مسألة " ثم رددنه أسفل سافلين" تشمل المؤمنين والكافرين إذن ما هي مناسبة قول الله تعالى " إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ " إلا هنا بمعنى لكن .



الأمر الرابع أن الله سبحانه وتعالى عندما أراد ذلك لم يخصه بالكفار بل جعله لجنس بني آدم فقال " وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّى وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِن بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا " الحج: 5, فجعل هؤلاء على قسمين

1-قسم يتوفى قبل الشيخوخة
2-قسم مردود إلى أرذل العمر ولم يسمِّه أسفل سافلين

الأمر الخامس أنه لا تحصل المقابلة بين أرذل العمر وبين جزاء المؤمنين, فهو سبحانه قابل بين جزاء هؤلاء وجزاء هؤلاء وهذه عادة القرآن يذكر جزاء الكفار وجزاء المؤمنين حيث أن جزاء المؤمنين جزاء غير مقطوع, وجزاء الكافرين أن يردوا إلى أسفل سافلين .

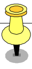
الأمر السادس قال بأن من فسره بأنه يرد إلى أرذل العمر يستلزم خلو الآية عن جزاء الكفار وعاقبة أمرهم وهذا معلوم انه ليس من طريقة القرآن
قال أنه سبحانه وتعالى ذكر حال الإنسان فى مبدئه " فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ " وفي معاده أنه رده إلى أسفل سافلين أو
إلى أجر غير مقطوع فى الجنة, فهذا هو المعلوم من طريقة القرآن كما قلت إلى غير هذا من المعاني .

الشاهد أن ابن القيم رحمه الله رجّح أن معنى أسفل سافلين ليس أرذل العمر إنما معناه الرد إلى النار أسفل سافلين والعياذ بالله تعالى .

" إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ "

الذين " إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا "يعنى لكن الذين ءامنوا وعملوا الصالحات تكتب لهم حسناتهم وتمحى عنهم سيئاتهم ومعلوم شأن هؤلاء أنهم يمن الله عز وجل عليهم بأجر العمل وإن مَرضُوا أو سافروا
كما قال النبي ﷺ فيما روى الترمذي وصححه الألباني "إذا سافر العبد أو مرض كتب الله له مثل ما كان يعمل مقيما صحيحا"
وقيل " إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ " قيل إلاّ هؤلاء فلا يذهب عقل من كان عالما عاملا, وهذا على تقدير أن أسفل سافلين معناه أرذل العمر, وقد رددنا هذا القول لكن على من قال به قال " إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا " هنا استثناء من الرد إلى أسفل سافلين
والمعنى أن الإنسان الذي يكون على الإيمان و العمل الصالح لا يخرف ولا يهرم ولا تصيبه أمراض الشيخوخة,
هذا القول قول ضعيف وليس هو القول الراجح لأننا ذكرنا أن هذه مقابلة ما بين الأمرين جزاء المؤمنين وجزاء الكافرين ,
" إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ "

لماذا هذا التعبير بالذات أجر غير ممنون" أي مقطوع؟



لأن الأجر الغير مقطوع هو النعيم الذي يخلدون فيه فى منازلهم, أي أن الدنيا إلى زوال فيها أيها الإنسان لماذا نكذب بيوم الدين وهى الحق والدنيا إلى زوال .

لماذا لا تفكر في الأجر غير الممنون غير المقطوع فإذا شغلتك الدنيا الأن إذا كانت الدنيا تأخذك فتذكر أن نعيمها مقطوع ,فذكر ممنون هنا لكى يلفت النظر إلى حقيقة الدنيا إلى أنه ينبغى أن يفهم أنها إلى زوال " إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6) فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ (7) "

فيا أيّها الإنسان الذي خلقك الرحمان في أحسن تقويم وأرسل لك الرسالات البيّنات

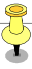
يا أيّها الإنسان إنك إلى إمتحان وإختبار فلا يمكن أن يكون هذا الخلق بغير حكمة, فيقول الله فما يكذبك،أي شيء يحملك فيجعلك تكذب بالدين بالجزاء .

ياأيها الإنسان يامن فضَّلك الله بالفكر على إدراك الحق يامن فضَّلك بالخلق ألا تتأمل هذه المعاني, فأي شيء يحملك بعد هذا الذي أنت به من أن تكذّب بنبأ المصير، بنبأ القيامة، بالبعث بعد الموت،بالحساب بفصل القضاء، أي شيء يجعلك تكذّب بهذا المصير،

أليس الله أيها الإنسان المكذب أليس الله بأحكم الحاكمين؟ هل رأيت في خلقه من معنى يفتقد للحكمة؟

تأمل

فقد غدا معلوم لك أيها الإنسان أن الله عز وجل هو رب العالمين هو خالق كل ما هو سواه وأنت خلق من خلقه, إنه خلقك بقدرته بحكمته, خلقك من علق وعلمك بالقلم وعلمك ما لم تعلم ووهبك الوسائل والقدرات على أن تفهم ،وخلق كل شئ فسوّاه أحسن تسوية وقدر فهدى وأخرج المرعى فجعله غثاءاً أحوى وصب الماء وشق الأرض وأنبت الزرع متاعاً لك وللأنعام, وملأ كل شيء في كونه بالآيات ودلت كل شيء في مخلوقاته على هيمنته وحكمته ثم بعد هذا كله أيها الإنسان لا تفهم,
أليس معلوْم لك أيها الإنسان أنك مخلوق في أحسن تقويم قد خلق ربك أباك آدم على صورته وأنت ذرية من ذرياته وبضعة منه ونسل من نسله أليس معلوْم لك أيها الإنسان أن كل شيء في ذاتك وفي الكون من حولك موضوع بحكمة بالغة أليس معلوْم لك أيها الإنسان بعد هذه البيانات والأدلة التي وضعها ربك بين يديك ونبّهك عليها, وفتح لك في أفاق التفكر فيها فيما أنزل قبل سورة التين من قرآن يتلى بيّن الله تبارك وتعالى الغاية من خلق الإنسان بصفاته التي جعله بعد ذلك في أحسن تقويم فالله خلقنا ليمتحننا ويختبرنا، فالأولى بأولي الألباب أن تصل عقولهم إلى هذه الحكمة إنهم لا يشهدون على شيء في الكون إلا له غاية وحكمة، الماء خلق لوظائف النبات والأحياء، والنبات لوظائف الأحياء وفي الحيوانات، وحيوانات البر والبحر لوظائف تؤديها للإنسان وهي مسّخرة له وكل ما في الأرض والسماء مخلوق له ومسخر لهذا الإنسان ليقوم بما أمره الرحمان به من واجب التكليف أن يأتمر بما أمر الله وينتهي عما نهى الله فبقي أن تدرك أيها الإنسان أن الغاية من خلقك حر الإرادة .



الإنسان منا حر,لن هذه الحرية لا ينبغي أن يستعملها فيما لم يأمره به الله, الإنسان الآن خصوصا مع الدعاوى الليبرالية,دعاوى أنت حر مالم تضر,هؤلاء لا يعرفون ما معنى حرية ,صحيح أن الله سبحانه خلقنا أحرار الإرادة لكن المفترض أن هذه الحرية لها ما يقيدها,فلا حرية بدون قيد ,فهكذا تصبح فوضى ,لا توجد حرية من دون قانون,
الله سبحانه وتعالى أعطاك هذه الحرية لتكون عبدا له,وامتحنك في ذلك, وهو يحاسبك على وفق اختيارك ماذا ستختار ؟ أي السبيل ستختار

فمن غير المقبول عقلاً أن الله عزّوجل يخلقك بهذه الصفات ويفضّلك على سائر المخلوقات ثمَّ بعد ذلك تعيش طاغياً متجبراً فاجراً كفّاراً, فلا ينبغي لمثلك بعد كل هذه العطايا أن تتكبر وتتعاظم, أن تعيش كأنك خُلقت سُداً, تعيش بلا هدف, تعيش حياة العبث واللهو واللعب .

الله أحكم الحاكمين منزّهٌ عن العبث منزّه عن اللعب واللهو,فاهتدوا يا أولي الألباب واسترشدوا, وانظروا الآيات التي نزلت قبل سورة التّين, وفي القرآن بوجه عام عندما يقول تعالى " أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى " القيامة :36, وهذا نزل بعد سورة التّين فى سورة القيامة, هل تحسب أنك خَلقت هكذا من دون أن تُحاسب ولا تُجازى؟

وفيما نزل بعد فى سورة " وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاعِبِينَ(38) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ(39) إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ(40)" الدخان 38-40

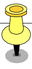
وفى سورة الأنبياء بعد ذلك " وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (16) لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا لَاتَّخَذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ (17) " الأنبياء 16-17, أي ليس من شأن الله أحكم الحاكمين أن يلعب أو يلهو, ولا ينبغي للعبد الربّاني أن يأخذ الدنيا على المُزاح وعلى اللهو وعلى عدم الجدّية " أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثاً وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُون(15) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ (16) " المؤمنون 15-16

تنبيـــــــــــــــــــــــه !

يا هذا لابد أن تفهم حقيقة الإبتلاء في رحلة الحياة الدنيا,وينبغي أن تضع نفسك في وضع الامتحان, فبعد أن أرسل لك الرّسل ومهّد لك الطريق, افهم لماذا خُلقت واسعى لما خُلقت من أجله, لأنك حتماً ستحاسب وحتماً ستجازى, وحتماً سيكون الجزاء بالعدل أو بالفضل, فحتماً لابد أن يكون لك خطة فى هذه الحياة, ولابد أن تفهم الرسالة وهذاهو الأمر الذى ينبغي أن تخرج به أيها العبد من سورة التين.

الـــــدروس المستفــــــــــــادة

قلنا سورة التين هي سورة الحكمة من خلق الإنسان .
سورة التّين علمتنا أشياء كثيرة جداً:



1-أن نستنير أولاً بنور الوحي ونور الأماكن التي أنزل بها الوحي على أولي العزم من الرسل, على إبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام جميعاً, الذين نزلت معهم الكتب العظيمة التوراة والإنجيل والقرآن.

2- علّمتنا أن نتفكر في خلق الله تبارك وتعالى لنصل إلى التصديق وإلى اليقين.

3-نتفكر في التّين والزيتون وطور سينين وفي البلد الأمين, أي لابد أن الواحد منّا يعلم أن هناك علاقة بين الرزق والإيمان, أن هناك علاقة بين الرقي وهذا يمثله طور سيناء (جبل المناجاة) وكأن فيها باب لفت للنظر أن الإنسان إذا فهم الدرس والحكمة من خلقه وسعى كان على قلب موسى الكليم من طور سيناء فصار في القمّة " وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا" النبأ 7 وصار في الثبات وطور سينين .

4- وهذا البلد الأمين و اختار هذه الصفة صفة الأمان وهي صفة أهل الإيمان يشعرون بها وبالأخص في هذه البقاع المطهّرة, فبلد أمين وإنسان أمين وصفة الأمن تكون من جزاء المؤمنين ومن جزاء الذين يقومون بالأمانة.

5-فصفة الأمين فيها معنى الأمن والأمانة والإيمان, عندما تكون أميناً, تكون مؤمناً, تكون آمناً, فهذا جزاء المؤمنين الذين هم أمناء أن يكونوا على الأمن آمنين لاسيما في البلد الأمين .

6-ثمَّ تفكّر في خلق الله لك "وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلا تُبْصِرُونَ" [الذاريات -21]
وقد تعلّمنا أيضاً أن الإنسان إذا نظرفي أول خلقه فعليه أن يتدبر في آخر أمره " ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ (5) إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ (6) ".
فإما أسفل السافلين في النار وإما في الجنة حيث الأجر غير المقطوع .

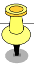
7-(فلهم أجرٌ غير ممنون) : فهؤلاء هم أهل الإيمان, الذين آمنوا وعَمِلوا الصالحات فلهم أجر غير ممنون أي أن نكون دائماً محتسبين, فنية المرء دائماً خيرٌ من عمله حتى لاينقطع العمل " قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (162) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ(163) " [الأنعام 162-163]

فالأجر الغير ممنون يتحقق بالاحتساب بأن الإنسان منّا يكون محتسب في كل عمله, حتى وإن قصُرَ عمله لكن نيته تطير به إلى الله تبارك وتعالى .

وحتى نصل إلى هذا المعنى فينبغي أن نصدق بالحساب والجزاء ونجعل الآخرة مما علا ذلك, وندعو الله تبارك وتعالى باسمه الحكيم وأن ننظر في آثار حكمته في كل مكان, فهذا الذي يجعلنا على سبيل أهل الإيمان و العمل الصالح فلا ينقطع عمله .

اللهم بصّرنا بأحوالنا وبصّرنا بعيوبنا وفهّمنا عنك يا رب .

اللهم اجعلنا ممن يفهمون حكمة خلقك والحكمة في جميع أمرك .



اللهم ارزقنا التدبّر والعلم والحكمة فأنت تؤت الحكمة من تشاء وتنزعها ممن تشاء .
اللهم اجعلنا من أهل الحكمة الذين يقومون لك بحق الكتاب و السنّة .
اللهم اجعلنا هداة مهتدين ولا تجعلنا ضالين ولا مُضلين .
اللهم اجعل ما قلناه وما سمعناه حجةً لنا لا علينا .
سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك
وصل اللهم وسلّم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلّم.